[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-29]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1412.3.12.6.5]

أسـباب ظاهرة الحـرب

عبّاس عليّ عميد الزنجاني

يدرس الكاتب في هذه المقالة أسباب ظاهرة الحرب والعوامل المؤدّية إليها، وهل هي ظاهرة تخريب وهدم وتدمير أو عامل يمهّد للوصول إلى الإزدهار العلمي والتقدّم الثقافي.

وبعد أن يتساءل الكاتب عن دور الحرب في خلق الحاجات البشرية وتدعيم المساعي الإنسانية للوصول إليها وتدعيمها. وبيان نتائجها المشئومة ومكتسباتها الإيجابية، يرىٰ أنّ المهم في هذه الدراسة، الكشف عن العلاقة بين ماضي الحياة البشرية وحاضرها ومستقبلها من خلال ظاهرة الحرب وذلك بدراسة منشأها وأسباب وقوعها.

وبناءً علىٰ هذا يستعرض الكاتب النظريات المختلفة حول هذه المسألة، فيورد ماذهب إليه القدماء أمثال افلاطون وارسطو وسقراط في هذا الشأن وماقاله من بعدهم أمثال توماس هابز وفرويد وغيرهما، وهل للحرب أصل في طبع الإنسان أو أنّها عارضة اجتماعية أو تنبع من رغبة في التفوّق. وبعد أن يعرض دور السياسة والفوضىٰ الدولية والتنافر بين الإمبرياليين وازدياد السكّان وضرورة الإقتصاد في خلقها، يختم الكاتب جولته هذه بالحديث عن نظرية ماركس وانغلز ورأيها في أسباب ظاهرة الحرب.

وأخيراً يتوّج الكاتب مقالته هذه بالحديث عن أسباب نشوء الحرب بالإعتماد علىٰ ماورد في القرآن الكريم والوحي الإلهي مبيّناً انّ لهذه الظاهرة جذور في نفس الإنسان.

الحرب لفظة معروفة تطلق على النزاع المسلح والعنيف بين دولتين أو عدّة دول أو فئة حاكمة.

ويمكن دراسة ظاهرة الحرب من وجهات نظر مختلفة، وهي ليست جديرة بالمطالعة لكونها، «مجموعة متصل بعضها ببعض باسم تاريخ البشر» فقط وإنما ينبغي دراستها لأن البشر سيواجهونها في المستقبل، ولظاهرة الحرب أهمية كبيرة لمكانتها ودورها وسعة نطاق عملها الزماني والمكاني، وإذا مارفضنا نظرية حتمية الحروب فلابد لنا أن نستفيد من دراسة ماوقع منها للحيلولة دون ما سيقع.

وإذا اعتبرنا الحرب ظاهرة تخريب وشؤم وضد القيم فإنّنا ألقينا أنفسنا في أحضان حكم غير منطقي، فيقدر ماكانت الحروب مخربة ومدمرة وعاملاً دموياً فقد مهدت للازدهار في ميدان العلم وأدّت إلى تقدم الثقافات والحضارات. فما زالت الحرب في حياة الانسان ذات حدّين وهي تحمل الحلاوة والمرارة والسم والبلسم والبلاء والهناء والتعاسة والسعادة في وقت واحد.

وللحرب بما لها من وجه بشع دور مؤثر في خلق الحاجات

وتقوية المساعي الإنسانية لتوفيرها. كما أنها تسمح للمحرومين والمظلومين بالنضال لاسترداد الحقوق التي فقدوها. ومن هنا ينبع بحث شرعية الحروب ولهذا لايستطيع الإنسان المتألم الذي فقد جميع أعزائه وما يملك في الحرب وتحمل آلامها، أن ينكر حق دفاع المظلوم المشروع، ذلك أنّ قبول انكار حرب الدفاع بمعنى التوقيع على هلاكه وهلاك الآخرين.

وليس هدفنا من البحث إحصاء نتائج الحرب المشؤومة أو مكتسباتها الإيجابية، كما أننا لن نعطي ظاهرة الحرب شرعية مطلقة أو ندافع عنها لما لها من آثار مفيدة ودور إيجابي في بناء الحضارة.

والذي يهمّنا من هذا البحث بصفته مقدمة للبحوث التالية هو العلاقة بين ماضي الحياة البشرية وحاضرها ومستقبلها من وجهة ظاهرة الحرب والتي يمكن بيانها بدراسة أسباب وقوع الحرب وشرعيتها والطرق التي تساعد على تحقيق أهدافها.

وبكلمة عابرة، لابدّ لنا للجواب على هذا السؤال: لماذا ندرس الحرب؟ من البحث عنه في دراسة النقاط الآنفة الذكر، ليصبح بالامكان الكشف عن المستقبل في ضوء الماضي.

إنّ الذعر والعدوان والحرب والقتل والاغارة تنبع كلها من العنف، والعنف أحد المظاهر النفسية في الانسان. ولذلك ينبغي البحث عن منشأ الحرب في باطن الانسان وحالاته الروحية والنفسية وعمق ردّ فعله النفساني، ثمّ لابدّ من قبول هذه الحقيقة: وهي أن الحرب تنبع من باطن الانسان وحالاته الروحية وتفكيرة، كما أنّ أساس السلم يكمن في عقل الانسان. فمنبع العنف وآثاره ومنها الحرب تكمن أيضاً في حالته النفسية والعقلية، الا أن هذا التحليل وحده لايساعدنا على معرفة أسباب الحرب وعواملها. ذلك أنّ بحثنا يدور حول معرفة الظروف التي تحدث فيها تلك الحالة النفسية والعقلية التي تسمى العنف والتي هي السبب الأصلي لبعض الآثار كالحرب، وبأي أسباب وعوامل تبرز في أعماق نفس الانسان وعقله ثم تنمو، وتصل إلى مرحلة العمل.

ولذلك ينبغي ألّا يعتبر البحث عن أسباب الحرب مسألة اخلاقية والاغماض عن أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفلسفية والثقافية. فالنظر إلى ناحية واحدة في تحليل أسباب الحرب سيصرفنا ولاشك عن إدراك الواقع. كما حدث وأن أصيب بهذا البلاء كثير من الآراء التي أبديت في هذا الموضوع، وكلّت عن بيان الواقع بشكل تام، وظلّت بعيدة عن الحقيقة.

وكذلك فإنّ دراسة وتحليل أسباب الحروب العالمية باعتبار أنّه يصلح تعميمها على الحروب الاخرى لايمكن ان يكون دراسة كاملة والبحث عن أسباب الحرب يحتاج إلى نظرة واسعة ليصلح الاستفادة منها في جميع ميادين الصراع العنيفة في المستقبل.

فالحروب تشبه على الأكثر الاصطدامات التي تقع في الطرق، فهي ذات أسباب عامة، وأسباب خاصة في نفس الوقت، فشوق الانسان للوصول في وقت أسرع من نقطة إلى نقطة أخرى بالسيارات هو السبب العام لحدوث الاصطدامات، ولكن لايمكن الاكتفاء بهذا في تحليل اصطدام ما، فالشرطة والمحكمة يبحثان عن سبب خاص في كل اصطدام، وكذلك فيما يتعلق بالحرب، فأكثر الأسباب التي ذكرت على أنها منشأ الحرب هي في الحقيقة ممهدة للحروب وليست الأسباب الأصلية التي تؤدي إلى وقوعها[1].

منشأ الحرب وأسبابها

كان هدف أكثر الذين بحثوا عن منشأ الحرب وأسبابها تقييمها للتمييز بين الحرب المشروعة وغير المشروعة.

ولايمكن لمثل هذا الهدف أن يكون غير منطقي غير أنه كلما كان البحث الهادف يسوق إلى أهدافه فيبرز بعض المسائل ويقلل من قيمة البعض الآخر كان بعيداً عن بحث الوقائع كما هي، ولاشك في أنّ الحكم الصادر سيكون خاطئاً والبحث غير واقعي.

وبناء على هذا ينبغي البحث عن أسباب ظاهرة الحرب وعللها بعيداً عن مسألة الشرعية وكونها جيدة أو سيئة، ولاشك في أنّ ظاهرة الحرب تتصل اتصالاً وثيقاً لاينقصم بمسألة العدالة ونظام القيم والأخلاق ولايعني فصل البحث في أسباب الحرب عن مسألة الشرعية، إن ظاهرة الحرب قد فصلت عن بعدها التعتيمي، وهو أمر لايمكن أن يحدث وليس منطقياً، ولايتفق مع الواقع، بل إن هذا يجب ألّا يعتبر في معرفة الأسباب ولايُظهر ماليس ظاهراً، ويخفى ماهو باد للعيان.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-29]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1412.3.12.6.5]

وفيما يلي ندرس أهم النظريات في أسباب ظاهرة الحرب وعواملها:

١) الحرب أساس كل شيء:

يعتقد هراكليت أحد فلاسفة اليونان القديمة أنّ الحرب منشأ كل الحوادث، فالحرب تجعل من بعض الناس آلهة ومن بعضهم الآخر عبيداً أو أحراراً[٢].

وهذه النظرية قريبة من نظرة علماء الاجتماع السياسيين ومبينة لدور الحرب الكبير في حياة الانسان الاجتماعية.

ويبدو أنّه ليس لهذه النظرية صلة كبيرة ببحثنا حول أسباب الحرب، ذلك أنّ الحرب تطرح على اساس هذه النظرية باعتبارها علة وليس معلولاً. ولكن بما أنّ الحرب في هذه النظرية أساس كل شيء يمكن الاستنتاج أنّها ضرورية لكل شيء، وبعبارة أُخرى ينبغي البحث عن منشأ الحرب في أعماق حاجات الانسان المعاشية وعلى الإنسان العبور من مضيق الحرب للوصول إلى كل شيء ولذلك يمكن اعتبار هذه النظرية وجهة نظر في دراسة منشأ الحرب. ولكن يصح هذا الاستنتاج حينما لايكون معنى قول هراكليت أن الحرب أساس كل الأشياء الموجودة وليس الشيء الذي ينبغي أن يكون. وإذا كان هراكليت يرى طريقاً آخر غير الحرب للوصول إلى الشيء غير الموجود ولكن يجب أن يكون فإن استنتاجنا من كلام هراكليت في هذا البحث لن يكون دقيقاً.

٢) للحرب أصل في طبع كل انسان:

كان أفلاطون وأرسطو يعتقدان بأنّ الحرب ظاهرة طبيعية ولها أصل في طبع كل إنسان[٣].

يقول أفلاطون: إنّ السبب الأصلي للحرب رغبة الناس في الأشياء غير الضرورية في حياتهم والتي تعتبر من الكماليات[٤].

ويقول أرسطو إنّ فنّ الحرب في حكم الطبيعة هو بنحو ما فنّ الحصول على المال[٥].

وكان سقراط يرى قبل هذين الفيلسوفين أن حب الجشع تبعث على طلب عدد من الحاجات غير الضرورية، وهذا يدفع إلى الطمع بأموال الجيران وأراضيهم، ويعتبر احساس الجيران المقابل بالنهاية سبباً في وقوع الحرب[٦].

ويمكن بيان وجهة النظر هذه بعدّة أشكال:

ألف) من وجهة النظر الأخلاقية: يعتبر علم الاخلاق العدل حالة وسطى وايجاد تعادل بين قوتين باطنتين هما الشهوة والغضب بالاعتماد على الفكر الفلسفي اليوناني، ويرى أن الاسراف في الشهوات يدفع الإنسان للاستفادة من قوة الغضب، وبناء على هذا فإن الافراط في الغضب لابدّ أن يؤدي إلى العنف والحرب، ويمكن اعتماداً على هذا التحليل، إبعاد الإنسان عن الحرب بايجاد نظام تقييمي يعادل بين الشهوة والغضب في باطن البشر ويبعدهم عن الحرب.

ب) من وجهة علم النفس: توجد الرغبة في التفوق عند جميع الناس إلى حدّ ما، وظروف الحياة توفر لهم مجال العمل لهم، ويبرز حب التفوق والميل إلى القدرة بأشكال مختلفة منها المنافسة والصراع والاستثمار والقتال والحرب.

ويقول توماس هابز: في طبع الانسان ثلاثة دوافع أساسية: المنافسة وعدمم الاعتماد وحبّ الجاه، فالحالة الأولى تدفع الإنسان إلى استعمال القوة للسيطرة على الأشخاص ونسائهم وأولادهم وأحشامهم للحصول على مزيد من الفوائد، والحالة الثانية تدعو المرء للدفاع عن نفسه وحفظ حياته وماله بالقوة، والحالة الثالثة أنّ حب الجاه يدفع الانسان إلى مهاجمة أبناء نوعه ويضطره عدم اعتماده على بقاء قوته الفعلية والمحافظة على الظروف المنشودة لاستعمال القوة دائماً[٧].

وعلى هذا لابدّ من اللجوء إلى أصول التربية لمراقبة الدوافع النفسية الأصلية لهداية السلوك الإنساني نحو الحياة المطلوبة رغما عن الدوافع النفسية.

ج) من وجهة نظر التحليل النفسي: يعتبر عامل الجنس أساسياً في التنافس والصراع حسب نظرية فرويد، وقد اكتشف في كل حرب أثر لهذا العامل.

٣) الحرب مولود السياسة:

السياسة معدّات الحكم والحرب فن السياسة، ويمكن الوصول إلى الأهداف السياسية بفن الحرب، وليس من بحثنا صحة اسناد هذا القول إلى أفلاطون وأرسطو[٨] غير أن العلاقة بين الحرب والسياسة التي أكد عليها كثير من المفكرين

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-29]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1412.3.12.6.5]

والفلاسفة السياسيين بوجهات نظر عديدة تشير إلى النظرية القائلة بأنّه ينبغي البحث عن منشأ الحرب في السياسة، وقد توصـل هيغـل في فلسفة التاريخ بايراده أمثلة كثيرة إلى أن السياسة هي التي تثير الحروب وإنّ الجيوش تنفذها[٩].

وقد عرض هذا التحليل بأشكال مختلفة أهمها:

ألف) منشأ الحرب هو حبّ القدرة واستعمالها، والسياسة في الحقيقة صورة ترسم بمعدّات القدرة، ويعتقد برتراند راسل أنّ قوانـين حركـة المجتمع أصول تعرّف فقط من وجهة مفهوم القدرة بالمعنى الأعم، كما أنّ القوة في علم الفيزياء هي العامل الأساس والأصلي للحوادث، فالقدرة وحبّ الجاه هما كالقوة لهما أشكال مختلفة: كالغنى والجيش والمعدّات العسكرية، وتطور القوة العسكرية، والقدرة على فرض العقائد وكثير من هذا القبيل[١٠].

ب) وفي تحليل آخر تعود أسباب الحرب إلى عامل الدولة، لأن الحـروب تقـوم بواسطة الدول ولها أصول في الأهداف السياسية للأنـظمـة السياسية ولذلك يرى البعض أنّ زوال الدول عامل في استئصال الحروب.

ج) ويعتقد آخرون أنّ الحرب ستبقى بين الدول مالم يحدوا من السيادة الوطنية، أكانت هذه الحرب عمدية أم كانت نتيجة لمحاسبات خاطئة[١١].

والحقيقـة أن إدخـال السيادة الوطنية في ميدان السياسة الدولية لايزال باعث للحروب.

د) لازالت الفوضى الدولية من أسباب الحرب. فما فتئت أوروبـا منذ القرون الوسطى تكابد هذا البلاء[١٢] ولكن ممّا لاشكّ فيه أنّ الاعتماد على الفوضى الدولية وحدها في تحليل أسباب الحرب لن تحل المشكلة مالم تعرف أصول هذه الفوضى ذلك أنها تجعل الحرب ممكنة ولكن لاتؤدي إلى وقوعها[١٣].

هـ) مازال التنافس بين الامبرياليين سبباً لوقوع الحرب، وإذا ماضـربنـا صفحـاً عن التفـاسير المختلفة التي أوردت لظاهرة الامبريالية، فإنّنا يمكن أن نعتبر حب التوسع الميزة الأصلية للامبريالية في ميدان العلاقات الدولية، والشاهد على العلاقة بين الحرب والسياسة.

والامـبريالية في القوالب الخمسة الاقتصادية والسياسية والعسكـرية والثقـافية الـوسـاطـة مازالت تتطلب نوعاً من العـلاقـات القائمة على اساس العنف بسبب الآلية المعقّدة المتسلطة عليها. وبينها وبين ظاهرة الحرب علاقة العلّة بالمعلول[١٤].

وليس معنى هذا التحليل أنّ الامبريالية تتخذ من الحرب وسيلة لايجاد وحفظ الارتباط بل يعتبر العدوان والهجوم والعنف والإغارة جزءاً من ماهيتها. بحيث تظل محتفظة بخصلة العنف والعدوان وحب الحرب وهي في أوج نجاحها ووصولها إلى السلم والهدوء الظاهرين، مثلها مثل الذئب الذي تقبع فريسته ذليلة هادئة بين مخالبه.

و) اختلال تعادل القوى تعبير آخر يمكن أن يبين نوعاً ما العـلاقـة بين الحـرب والسياسة، فإذا اعتبرنا سياسة تعادل القوى عاملاً رادعاً للحرب. فالنتيجة المنطقية لذلك أن فشل هذه السياسة سيؤدي إلى وقوع الحرب[١٥].

فتعادل القوى في الحقيقة يدعو أصحاب القدرة إلى امكانية التدمير المقابل. مما يدفعهم إلى ابداء رد فعل ايجابي والامتناع عن استعمال القوة وهذا مايجبرهم على تدمير اسلحتهم بدلاً من قتل الناس.

٤) أسباب استمرار الحرب:

رغم طرح نظرية تنـازع البقاء وبقاء الأفضل والأقوى باعتبارها قانوناً حاكماً على الطبيعة في حياة الحيوانات،إلّا أن بعض العلماء عمموها على الحياة الاجتماعية عند الانسان أيضاً.

وإذا صرفنـا النـظر عن أنّ هذه النظرية اتخذت وسيلة لتـبرير الاستعـمار، وسياسـة قتـل المستضعفين فإنّ النتيجة العملية لها أنّ قضايا الحياة مازالت السبب الأصلي للحرب بين ابناء البشر، ثمّ إنّ استقرار حياة الانسان واستمرارها في اطار قانـون تنـازع البقاء وابقاء الأفضل والأقوى كان وسيبقى مقترنا دائماً مع ظاهرة الحرب، والمنطق الوحيد الذي يمكن أن يُدرك ويُقبل في خلال ذلك هو القوة.

وقـد تم شرح نظرية أسبـاب استمـرار الحرب بأشكال مختلفة أهمها:

الف) يعتقد البعض أنّ ازدياد عدد السكان لايتناسب مع مستـوى انتاج المواد الغذائية والامكانيات الموجودة منها في

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-29]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1412.3.12.6.5]

الطبيعة، وبالنظر للسرعة البادية في ازدياد عدد السكان يمكن التكهّن بألّا تكفي المواد الغذائية بعد فترة لحياة جميع أبناء البشر.

وبناء على هذا وجب الحدّ من الازدياد العشوائي للسكان، وكما انّ الأمراض المسرية تلعب دوراً طبيعيا في تعديل عدد السكان فإن الحروب تستطيع أن تقوم بهذه المهمة أيضاً وتجاوز بعضهم هذا فقال: الحرب حجام المجتمع الانساني[١٦] فالأقوى يبقى بناء على أساس قانون تنازع البقاء والضعيف يذهب.

ب) لايولد جميع الناس متساوين ولايواجهون امكانيات وقدرات واحدة، فظروف الحياة تمنح الافضلية للبعض، والناس يظهرون على مسرح الحياة بمواهب واستحقاقات مختلفة.

وبنـاء على هذا فالناس يوجدون بانجاد متباينة والنجاد الأفضـل ينتصـر في الحرب والصراع مع الحياة على النجاد الأدنى، والحرب تبعد الضعفاء من طريق الأنجـاد الأفضل بالعنف والقوة، وعلى هذا فإن الباقين بعد الحرب هم في الحقيقة صفوة الطبيعة والفائحون في تنازع بقاء الحياة الذين حصلوا على قيمة الحياة!.

ج) كانت نظرية الفضاء الحياتي التي أوردها هتلر وأدت إلى دمار العالم واصطباغه بالدماء سببا آخر من أسباب استمرار الحرب، فقد اقترحت انجلترا التي كانت تدرك جيداً صراخ هتلر وشكواه من ضيق الفضاء الحياتي ان تمنح ألمانيا بعض المستعمرات ولكن هذا الاقتراح كان عند الألمان بمعنى هدر ثروة كان على انجلترا أن تنفقها لادارة المستعمرات، بالاضافة إلى أنّ الفضـاء الخالي لم يكن موجوداً، وقد كان هتلر يطمع بالنمسا وأراضي روسيا الواسعة، ويرى الكثيرون أنّ الفضاء الحياتي لم يكن سوى حجّة لبدء الحرب، ومع ذلك فإنّ ماكان نظرية اعتمد عليها هتلر لتبرير الحرب[١٧].

دَور الإقتصاد في الحرب:

أعـاد بعض المعلّقين السياسيين أسبـاب الحرب العالمية الأولى إلى فقر دولتي ألمانيا وإيطاليا اللّتين لم تستطيعا من جهة دخول الأسواق العالمية ولإفتقارهما المواد الخام الضرورية من جهة أخرى، بينما كان العمال في بلد كبريطانيا يطلبون من حكومتهم بإصرار، العمل على حلّ المشكلات الاقتصادية بدلاً من سباق التسلح.

وبصرف النظر عن صحّة هذا التحليل أو عدمه، بالنسبة إلى اسباب الحرب العالمية الأولى، لايمكن تعميم هذا العامل على كل الحروب، وحتى لو وصلت المشكلات الاقتصادية إلى حد الفقر فلابد من البحث عن عوامل أخرى لوقوع الحرب.

وأهم نظرية حول السبب الاقتصادي لوقوع الحرب هي النظرية الماركسية القائلة بأن سبب الحرب يكمن في التضاد بين الطبقات الناشيء من تكامل معدات الانتاج والتطورات في العـلاقـات الاجتماعية. وعلى هذا فالحرب وسيلة لانتقال القدرة من طبقة قديمة إلى طبقة جديدة.

ولاتتحدّث النظرية الماركسية عن الحرب باعتبارها نزاعاً في العـلاقـات الخارجية فقط بل تشمل ميداناً أوسع لمفهوم الصراع بين الطبقات في داخل الأُمّة وخارجها، أي أنّها تطرح في المرحلة الأولى قضية الصراع بين الطبقات والقتال من أجل انتصـار طبقـة البرولتاريا واستقرار النظام الاشتراكي على المستوى الداخلي، وفي المرحلة الآلية الثانية تغلب طبقة العمال على المستوى العاملي، وفي هذه المرحلة لابد من وقوع الحرب بشكل صراع في السياسة الخارجية وعلى المستوى العالمي.

وقد بدأ ماركس وانغلز ال «مانيغست» بهذه الجملة:

يتـلخّص تاريخ جميع المجتمعـات حتى اليوم في تاريخ الصراع الطبقاتي[١٩].

فلا يمكن في النـظرية المـاركسية تصـور طريق السلام لتحقيق الثورة العمالية على المستوى القومي والعاملي، ويقول انغلز العنف هو العامل الوحيد للازدهار الاقتصادي والتسريع به، وينصـح لينـين ايضـاً في كتابه «**التكتيكان الإشتراكي ـ الـديمقـراطي**» عن اعتقاده بضرورة استعمال القوة لتحقيق طموحات الإشتراكية[٢٠].

وإقـامـة دولة العمّال في الماركسية يبدأ بالصراع الطبقي، وليس معنى الابتعاد عن الحرب ريثما ينتهي الصراع بانتصار الثورة العمالية، حبّ الماركسية للسلام.

وقد تحدث لينين بصراحة عن هذا الموضوع قائلاً: «هناك اختلاف تام بين مانستنبطه من معنى الحرب وما يستنبطه دعاة السلام أو الفوضويون، والاختلاف الذي بيننا ناشيء من انّنا نرى علاقة حتمية بين الحروب والصراع الطبقي في داخل كل

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-29]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1412.3.12.6.5]

بلد، ونرى انّه لامندوحة عن الحرب مالم تزل الطبقات وتحل الإشتراكية»[٢١].

ويعتقد لينين بأن طبقة العمال يجب ألّا تخالف حرباً يمكن أن توفّر للبرولتاريا الظروف المناسبة للحصول على السلطة السياسية[٢٢].

وكما أنّ الماركسية تبرّر استعمال العنف لتحقيق الإشتراكية على المستوى الداخلي والوطني فإنّها ترى الحرب ضرورة بصفتها ظاهرة طبيعية ناشئة من التضاد، وتعتقد بأنّ اللّجوء إليها للوصول إلى الأهداف الشيوعية مبرر تماما وحتى ضروري.

والحرب في النظرية الماركسية ليس في الحقيقة سوى استمرار الصراع الطبقي على مستوى عالمي أوسع ولايمكن أن يزول استثمار شعب لشعب آخر مالم ينته استثمار الإنسان للانسان.

ويبرّر الماركسيون الحروب التي لايبدو فيها اي دور للاقتصاد في الظاهر أنها ليست أكثر من حارس تتخذه الطبقات الحاكمة لتشغل به جماهير الشعب وتصرفها عن الصراع الأساسي.

أمّا فيما يتعلق بالحروب التي تدور بين البلاد الرأسمالية فيعتقد الماركسيون انّها إحدى دسائس الحكومات البرجوازية التي تدفع العمال إلى القتال بعضهم بعضاً.

ويرى الماركسيون وجوب دراسة كل حرب باعتبارها جبراً تاريخيا فقد وقعت حروب خلال التاريخ البشري ساعدت على تقدم الانسان رغم مافرضته من وحشية وفجائع وآلام[٢٣].

وبالرغم من هذه التصريحات فإن الماركسية لاتفتأ تعرف نفسها في بياناتها الاعلامية بالمدافع عن السلام، وتدعوا العالم إلى المسالمة، وتعتبر الانظمة الرأسمالية داعية للحرب.

٦) أسباب الحرب من وجهة نظر المواثيق الدولية:

رغم التأكيد المكرر في المواثيق الدولية سيّما ميثاق الأمم المتحدة على تحقيق السلم والأمن العالمي ومنع الحروب وأي نوع من أنواع العنف بين الدول، غير أنه لايفصح عن أسباب الحرب والعوامل التي تعرض السلم العالمي والأمن الدولي للخطر.

وقد أشير في الحديث عن أهداف الحرب في بعض المواثيق الدولية بشكل غامض وغير مباشر إلى أسباب تمكن من وقوعها، غير ان هذه الأسباب نفسها ظواهر معلولات ينبغي البحث عن عواملها ودراستها والحقيقة أن المفاهيم العامة والغامضة التي وردت في هذه المواثيق هي نفس العوامل التي تعتبر أساساً للحرب:

وأهم هذه المفاهيم العامة التي يمكن اعتبارها عوامل تمهد لوقوع الحرب عبارة عن:

الف) الإختلافات الدولية والظروف المؤدية إلى العدوان والإخلال بالسلم والأمن الدوليين.

ب) عدم احترام حق السيادة للشعوب، والتنكّر لمبدأ التسوية في الحقوق بين الدول[٢٥].

ج) عدم احترام حقوق الانسان والحريات الأساسية للجميع، والتمييز بسبب الجنس واللّغة والدين وأمثالها[٢٦].

د) إنفاق أكثر الثروات الانسانية والاقتصادية للتسلح، ورفع مستوى انتاج الأسلحة وميزانيتها، ودفع عجلة سباق التسلح[٢٧].

هـ) عدم وجود مرجع دولي يستطيع اتخاذ القرارات الضرورية وتصفية الاختلافات في حال تعرّض السلم والأمن الدوليين للخطر[٢٨].

و) حقّ الدفاع عن النفس إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الأُمم المتّحدة[٢٩].

ز) نقض الإتفاقيات من جانب واحد[٣٠].

ح) جهل الشعوب حقوق الإنسان، الأمر الذي مازال منشأ سوء الظن وعدم الاعتماد بين الشعوب وغالباً ما تؤدي الاختلافات المنبعثة منها إلى الحرب... ولذلك يجب أن يرتكز السلم المطلوب على أساس التعاون الفكري والأخلاقي بين الناس[٣١].

٧) أسباب الحرب من وجهة نظر القرآن:

يبيّن القرآن ضمن شرحه لحاجة الانسان الأساسية إلى الهدى إلهي وضرورة بعثة الأنبياء أنّ أوّل ظاهرة يمكن أن توفّر هذه الحاجة والضرورة في حياة الانسان الاجتماعية هي الإختلاف.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-29]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1412.3.12.6.5]

فالإختلاف من وجهة نظر القرآن إنما طغى على المجتمع الانساني بعد أن كان يعيش في وحدة ومساواة، وحياة هادئة بعيدة عن الإجحاف والظلم والعدوان.

﴿كان النّاس أُمّة واحدة فبعث اللّه النبيين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين النّاس فيما اختلفوا فيه﴾[٣٢].

لم يصرّح في هذه الآية بأساس أول اختلاف ظهر على مسرح حياة الانسان الاجتماعية وذلك دليل على أن هذا الاختلاف طبيعي. وإنه ينبع من فطرة الانسان وطبعه للاستفادة من الثروات الحياتية والامكانيات المعيشية.

والحياة تدبير ينبع من فطرة الانسان، يدفع أولاً الى الحياة الاجتماعية ثم إلى استخدام الآخرين، وتفكير الانسان واعتقاده بضرورة تأمين حياته على أفضل وجه بأي طريقة ممكنة جعله يستولي على المواد الخام ويصنع منها الأدوات اللازمة والغذاء والملبس والمسكن، وأن يفكّر باستخدام الحيوانات ثمّ استثمار أبناء نوعه، وقد أدّى اختلاف النّاس في قوتهم الى استغلال القوي لمن تحت يده دون ان يسمح للضعيف ان يرد بالمثل، وقد ادت طريقة الاستخدام والاستثمار الى ظاهرتين سلبيتين في المجتمع الانساني هما حبّ الإنتقام والفوضى اللّتان تعتبران خطراً كبيراً على سعادة الانسان **﴿ما كان النّاس إلاّ أُمة واحدة فاختلفوا﴾**[٣٣].

والوحدة التي يتحدّث عنها القرآن بصفتها أول حالة في المجتمع الانساني لاتتعارض ابداً مع الإختلاف الذي وقع بين الناس، ذلك أن الاختلاف نشأ من لجوء الناس إلى فطرتهم المتماثلة واحاسيسهم وادراكاتهم وغرائزهم المتشابهة للاستفادة من العالم الخارجي إلاّ انّ كل هذه الأشياء التي استفاد منها الناس ليست متماثلة ومتشابهة وبذلك ظهر التعارض والصراع والتضاد والإختلاف.

وهذا الاختلاف الذي مهد لضرورة الهدي الالهي وبعث الانبياء كان في الحقيقة اختلافاً مادّياً، ونشأ من العلاقة بين حياة الانسان التدبيرية وبين الامكانيات والقوى الموجودة في بيئة الحياة الاجتماعية، والوحي الالهي والأنبياء كشفوا عن طريق حل مثل هذا الاختلاف بابلاغ الشريعة.

والقرآن يتحدث عن اختلاف آخر غير هذا بقوله:

﴿وما اختلف فيه إلاّ الذين أوتوه بغياً بينهم فهدى اللّه الذين آمنوا لمّا اختلفوا فيه من الحق بإذنه، واللّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾[٣٤].

فهذا الإختلاف وإن نشأ من نفس الأسباب التي بعثها الإختلاف الأول، غير أن موضع الاختلاف كان نفس الدين والشريعة اللذين عرضا على الناس لإزالة الإختلاف الأول.

والظلم والعدوان أحدثا في هذه المرّة اختلافاً آخر، ذلك الاختلاف الذي يمكن أن نعبّر عنه بالإختلاف المعنوي أوجب استمرار رسالة الأنبياء، والتكامل التدريجي للشرائع الالهية[٣٥].

ثمّ برز في المرحلة الثالثة التنازع والتضاد الحتميين في حياة الانسان الاجتماعية بالشكل الذي لامفر منه في كل نظام وجماعة منسجمة ومنظّمة، ذلك انّه لابدّ في كل نظام من وجود تفاعل اجزائه وليس معنى هذه العلاقة سوى التنازع ودفع الصراع، وممّا لاشكّ فيه أنّ التضاد والنزاع بين الناس يمكن أن يحدث بأشكال مختلفة منها الحرب المسلحة[٣٦].

والقرآن يبين في هذا الخصوص أسباب الحرب في قولين:

الف) ان النزاع والصراع والتضاد يمهد لتكامل المجتمع الانساني ويمنع فساده.

﴿لولا دفع اللّه النّاس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾[٣٧].

وبناء على هذه النظرة فالتاريخ والمجتمع الانساني كعالم الطبيعة في تطور وحركة، والتضاد بمعنى التدافع شرط ضروري لاستمرار الفيض من عند اللّه[٣٨].

ولا شكّ في أنّ هذا النوع من التدافع أو كما يقول القرآن **﴿الدفع﴾** والذي يقوم على مبدأ فطري يمكن أن يكون على أساس الحق المشروع أو بشكل عدواني، كبقيّة المبادىء الفطرية الأخرى التي تتجلى احيانا في صورة صحيحة وتقوم على الحق والعدل وتظهر أحيانا أخرى بصورة أعمال سيئة وعدوانية[٣٩].

ب) إنّ أبناء كل نوع جديرون بالبقاء ماداموا يملكون القدرة على المواجهة والدفاع أمام العوامل السلبية والظروف التي تهدد حياتهم. وهذا نفس قانون الاختيار الطبيعي والاحتذاء بالبيئة الحياتية التي تُطرح لتعليل نظرية تنازع

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-29]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1412.3.12.6.5]

البقاء.

﴿لولا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات﴾[٤٠].

والقرآن ببيانه هذا اعتبر حالة الدفاع بصفتها سنة فطرية تعود كبقية السنن الطبيعية إلى ارادة ومشيئة الهية، كفيلة بحفظ الحياة والبقاء، ولذلك جهز الله الانسان بوسائل الدفاع، ومنحه التفكير والعقل ليصنع هذه الوسائل بشكل يتناسب ونوع المضايقات والعوامل والظروف التي تهدده، ومتابعة الحياة والتمتع بآثارها الرائعة.

والحرب آخر مرحلة في تنازع البقاء فحينما لايؤثر أيّ من طرق الدفاع، تعمل جماعة للقضاء على العوامل المضايقة باللجوء اليها لتحافظ على حياتها وتبقى[٤١].

وقد ورد كلا هذين الشرحين في القرآن بعد الحديث عن شرعية الجهاد، فذكرت الآية الأُولى بعد أول اذن للمسلمين المظلومين والمخرجين من ديارهم بالدفاع المشروع، وبيّنت الآية الثانية هدف الحرب وأسباب استعمال القوة والعنف بعد الحديث عن نجاة فئة من بني اسرائيل على يد طالوت من ظلم جالوت وعدوانه.

المصادر والهوامش:

١ ـ أسباب الحرب العالمية الثانية، صفحة ١٦٠.
٢ ـ مقالة نظرية اجتناب پذيرى جنگ ها (نظرية حتميّة الحروب)، تأليف الدكتور س. جليلي، نشرية مركز مطالعات عالى بين الملل [مجلّة مركز الدراسات الدولية العليا]، العدد ١٠، الصفحة ١٠٦.
٣ ـ ن، م.
٤ ـ خداوندان انديشه سياسى، (آلهة الفكرالسياسي)، تأليف مايكل ب. فاستر، ترجمة الدكتور شيخ الاسلامي (بالفارسية)، ج ١، القسم الأول، ص ٨٤.
٥ ـ السياسة لأرسطو، ترجمة الدكتور حميد عنايت (بالفارسية)، ص ٨٤.
٦ ـ آلهة الفكر السياسي، ج ١، القسم الأول، ص ٨٤.
٧ ـ آلهة الفكر السياسي، تأليف و. ت. جونز، ترجمة علي رامين (بالفارسية) ج ١، القسم الأول، ص١٢٢.
٨ ـ مجلة مركز الدراسات الدولية العليا، العدد ١٠، ص ١٠٧.
٩ ـ ن، م.
١٠ ـ القدرة، تأليف برتراندراسل، ترجمة الدكتور هوشنگ منتصري (بالفارسية) صفحة ٢٦.
١١ ـ أسباب الحرب العالمية الثانية، تأليف أ. جي. پي. فتيلر، ترجمة محمد علي طالقاني (بالفارسية) ص ١٥٩.
١٢ ـ ن، م، ص ١٦٠.
١٣ ـ ن، م.
١٤ ـ تئوريهاى امپرياليزم، (النظريات الامبريالية)، تأليف البروفسور ولنگانگ ج، موسن، ترجمة كورش زعيم (بالفارسية) ص ٨٩.
١٥ ـ أسباب الحرب العالمية الثانية، ص ٥١.
١٦ ـ أصول علم السياسة، تأليف موريس دوورجه، ترجمة الدكتور أبو الفضل قاضي، ص ٥٤.
١٧ ـ أسباب الحرب العالمية الثانية، ص ١٦٤.
١٨ ـ ن، م، ص ١٦٣.
١٩ ـ مجلّة مركز الدراسات الدولية العالية (بالفارسية)، العدد ١٠، ص ١٠٩.
٢٠ ـ ن، م، ص ١١٢.
٢١ ـ ن، م.
٢٢ ـ ن، م، ص ١١٧.
٢٣ ـ ن، م.
٢٤ ـ الفقرة الأُولى من المادة الأُولى من ميثاق الأُمم المتّحدة.
٢٥ ـ ن، م، الفقرة الثانية، والمادة الأُولى من الميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية.
٢٦ ـ ن، م، الفقرة الثالثة، والفقرة الثانية من المادة ٢ من ميثاق التعاون الدولي الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ومقدمة منشور حقوق الانسان.
٢٧ ـ ن، م، المادة ٢٦.
٢٨ ـ ن، م، الفقرة الثانية من المادة ٣٧، والمادة ٣٣.
٢٩ ـ ن، م، المادة ٥١.
٣٠ ـ معاهدة فيينا (حقوق الإتّفاقيات).
٣١ ـ مقدّمة القانون الأساسي لليونسكو.
٣٢ ـ سورة البقرة، الآية ٢١٣.
٣٣ ـ سورة يونس، الآية ١٩.
٣٤ ـ سورة البقرة، الآية ٢١٣.
٣٥ ـ تفسير الميزان، ج٢ ص ١٢١ ـ ١٢٦.
٣٦ ـ ن، م، ص ٣٠٨.
٣٧ ـ سورة البقرة، الآية ٢٥١.
٣٨ ـ ظهور وثورة المهدي (ع) من وجهة نظر فلسفة التاريخ، تأليف الشهيد مطهري (بالفارسية)، ص ٢٥، ومقالة، أصل التضاد في الفلسفة الاسلامية للشهيد مطهري (مجلّة كليّة الإلهيات والمعارف الاسلامية بجامعة طهران).
٣٩ ـ تفسير الميزان، ج٢، صفحة ٣٠٩.
٤٠ ـ سورة الحج، الآية ٤٠.
٤١ ـ تفسير الميزان، ج١٤، ص ٤٢٤.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-29]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1412.3.12.6.5]